فرانكنشتاين

هو زميلٌ بالمكتب الذي أعمل فيه، نحيل الجسم وقصير القامة، ولا يرتدي إلا الملابس الرمادية، واسمُه "بيليجريني"، غير أنه يفضِّلُ أن يُنادى باسم (فرانكنشتاين)!؛ فما كان من كثير من أصدقائه إلاَّ أن سايروه، وراحوا ينادونه بهذا الاسم.

إنه موظفٌ مثالي؛ وهو يجلس قبالتي في مكان العمل، فيتسنى لي أن أتابعه وهو يعمل. وأنا أجده عنيدًا، مثابرًا، مجتهدًا؛ وإن كنتُ أخشى أن يكون مستوى ذكائه دون المأمول، وإلاَّ فبِمَ يمكن تفسير ما يطرأُ على وجهه من تغيرات تجعله يبدو شديد التركيز، كما لو كان يواجه مشكلة لا يمكن التغلب عليها، وهو يتعامل مع أبسط الأمور؟. ثم انظر إليه وهو يضغطُ بيديه على الزجاج فوق مكتبه، تاركًا عليه آثارًا مؤقتة من الرطوبة، ثم راقبه وهو يقرضُ خشب قلمه الرصاص، وكيف يُقلِّبُ عينيه، وكيف يمسح العرق من على جبينه، وكيف يرتجفُ وريدُ رقبته.

وباختصار, أنظر كيف يكاد فرانكنشتاين يفتقد تمامًا للذكاء. وأقولُ (يكاد)، وهذا أمر ليس في صالحه كلِّيَّةً، إذ أنه مُدركٌ لما به من قصور. فكم هو بائس هذا الرجل، الذي أشعر بالأسف من أجله.

إنني، مع ذلك، وقبل أي شيء، متخوِّفٌ، وأسألُ نفسي: ماذا يثور في مخ فرانكنشتاين البدائي من نواحي سخط خبيثة؟. واي رغبات للانتقام، لا ملامح لها، تدفعه لرسم خطة ساذجة في مخه، وهو لا يتفهمها تمامًا؟.

وقد ضبطني فرانكنشتاين، منذ أيام قليلة، وأنا أراقبه في معاناته، فأخذ يحدِّقُ فيَّ بشدة وفي بطء، والتمعت في أغوار عينيه صرخة توحش دموي؛ بعدها قلت لنفسي: يا إلهي، لا عجب أن يطلقوا عليه اسم فرانكنشتاين. ولما سألتُه: أخبرني يا بيليجريني، لماذا يسمونك فرانكنشتاين؟، ردَّ وهو يبتسم: إنه مزاحٌ ودودٌ، لا أكثر.

وأيًّا كان الأمرُ، فباعتقادي أن فرنكنشتاين كان يخفي عنِّي شيئًا ما. وفي فترة ما بعد الظهيرة في أحد أيام السبت، رتبت لي المصادفة البحتة أن أرى فرانكنشتاين يغُذُّ الخطى في وضح النهار بشارع فلوريدا، ويمشي بقوة دون أن يثني ركبتيه. وكانت ذراعاه ممدودتين، ووجهه يعزز، بما فيه من ضغينة زائفة، وعيدًا، وصولًا إلى أطراف أصابعه التي كان يتظاهر بأنه يخنق بها أناسًا اعترضوا طريقه؛ فأخلى بعضُهم الطريق وهم مندهشون أكثر منهم خائفون منه؛ وكانوا ما إن يتجاوزوا ما حسبوه خطرًا تلتفت رؤوسُهم ناحية فرانكنشتاين، مبتسمين في سخرية، مردُّها إلى أن وجوده المُبتذل فشل في إقناع أي شخص.

فهل يُدركُ فرانكنشتاين الآن أن تلك الابتسامات التي كانت في حقيقتها هازئة، قد عرَّتْ سلوكه التهديدي من أي تأثير؟. ويضافُ إلى ذلك سؤال،

هو: هل لدي أولئك المبتسمون ولو أدنى فكرة عن الشخصية الحقيقية لفرانكنشتاين؟.

والإجابة – بلا شك – أن، لا. لقد بدرَ ذلك منهم وهم، حتى، لم يروه وهو يعاني في مواجهة المشاكل التي ينبغي عليه معالجتها في مكتبه الوظيفي؛ ولو أنهم تنبهوا للأمر، كما فعلتُ أنا عدة مرات، لم يكونوا ليقدموا على السخرية من فرانكنشتاين.

والأسوأ من ذلك، هو أنه حتى زملائي في العمل لا يبدوا أنهم لاحظوا هذه الغرائب، ويروحون طول الوقت يُطلقون النكات عنه، ويربتونه على ظهره، قائلين له: يا فرانكنشتاين، فيضحكُ وهو يبدو مستمتعًا بالمودة والصداقة، حتى أنني كنت أقول لنفسي: لا بأس، فكل شيئ على ما يرام.

وعلى أي حال، فإن أصدقاء فرانكنشتاين يتحدثون بسرعة وهم يتلاعبون بالكلام، فيستخدمون الضمائر بدلًا من الأسماء الحقيقية الظاهرة ليشيروا إلى أشياء بعينها، مُلمِّحين بخبثٍ إلى ما هو معروف للجميع، ويستمتعون بترديد كلمات تافهة. وأتمنى لو كان بمقدوري أن أقول لهم تحدثوا على مهل أكثر، واستخدموا عبارات غير مجتزئة، وتوخوا الصراحة، وتخلوا عن الغموض .. ألا تدركون أن فرانكنشتاين لا يفهم؟.

وأنا على يقين من أن هذا الاحتياط، الذي ينبغي الأخذُ به، كفيل بتجنُّب كارثة كاملة شاملة؛ ومع ذلك فإنني ممتنع عن التدخُّل؛ فماذا إن حدث وعرف فرانكنشتاين أنني كنت مدركًا لما به من قصور رهيب؟. لذلك، فقد

كنت أقول لنفسي إن أفضل ما يمكنني فعلُه هو أن ألتزم الصمت، وألا أثير غضب فرانكنشتاين عليَّ أنا شخصيًا.